التربية الصوفية والسياسية في حياة الأمير عبد القادر

مالك بن خليف

جامعة باجي مختار عنابة، Benkhelif.malek@yahoo.fr

تاريخ الإيداع:2017/01/02 **تاريخ المراجعة:** 2018/10/01 **تاريخ القبول:** 2018/10/15

ملخص

تهدف هذه الدراسة الى معالجة إشكالية العلاقة بين الأخلاق (التصوف) والسياسة من خلال نموذج عربي إسلامي لاحظنا أن التجربة الصوفية والممارسة السياسية أمران اجتمعا في مسيرة تاريخنا الجزائري في فكر وشخص الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية في العصر الحديث. وقد بيدو من النظرة الأولى أن التصوف والسياسة لا توجد بينهما صلة ولا تناغم كما هو شائع في الفكر الفلسفي عموما والغربي خصوصا فكيف اجتمع التصوف والسياسة في شخص الأمير عبد القادر؟

الكلمات المفاتيح: الأمير عبد القادر، تجربة صوفية، سياسة، ممارسة سياسية، تصوف سني، تصوف فلسفي.

Sufism and political education in the life of the Emir Abdelkader

Abstract

The aim of this study is to deal with the problemic existing between Ethics (Sufism) and politics through the Arab Islamic model. We noted that Sufism (Islamic mysticism) and politics are two things which are reflected in the Algerian History by their enrooting in the thought and personality of the Emir Abdelkader, the founder of the Algerian State in the modern era. It seemsat the first glance that the Soufism and Politics do not accord with one another and do not have any common ground between them as it is commun in the philosophy in general and especially in western thought, but how the the Soufism and politics do meet within the personality of the Emir Abdelkader?

Key words: Emir Abdelkader, sufism experience, politics, political practice, Sunni islamic, mysticism soufism.

L'éducation soufie et politique dans la vie de l'Emir Abdelkader

Résumé

Cette étude vise à aborder la relation problématique entre l'éthique (soufisme) et la politique à travers un modèle arabe. L'expérience du soufisme (mysticisme Islamique) et les pratiques politiques sont deux conceptions qui se sont réunies dans l'évolution de notre histoire algérienne, à travers la pensée et la personnalité de l'Emir Abdelkader, fondateur de l'état algérien moderne .A première vue, le soufisme et la politique n'ont aucun lien, selon la conception qui règne dans la pensée philosophique en général et occidentale en particulier. Nous nous sommes, donc, posé la question: comment le soufisme et la politique, en tant que sciences, se sont-ils réunis dans la vie de l'Emir Abdelkader?

Mots-clés: L'Emir Abdelkader, expérience mystique, politique, pratique politique, soufisme sunnite, soufisme philosophique.

المؤلف المرسِل: بن خليف مالك، benkhelif.malek@yahoo.fr

- **توطئة:**

الإنسان ابن بيئته وهي معلمه الأول، والنشأة الأولى للإنسان هي التي تشكل المبادئ الكبرى في ما يستقبل من حياته وهذه الحقيقة عبر عليها أحد المتصوفة فقال:

كل امرئ والله بالنـاس عالـــــم لـه عـادة قامت عليها شـمـائلـه
تعودها في مـا مضى من عمــره كذلك يدعـو كل أمـر أوائلـــــه[1]

وقال آخر

وينشـأ ناشـــئ الفتيـــان مـنـا علـى مـا كـان عــوده أبـــــوه
ومادان الفتـى بحجـــى ولكـن يعلمـــه التديـــن أقـــربـــــوه[2]

فإن الاتجاه الفكري أو الفلسفي لأي إنسان إنما تتشكل أنساقه الكبرى في مرحلة التربية الأولى والتي تمثل المنشأ الأول الذي يتكون عادة من رافدين اثنين هما: الأسرة والتعليم والذي يعمل كل منهما على تزويد العقل والنفس بمعارف ومهارات وقيم، وسلوكيات تحدد كلها معالم الشخصية وتنحت الاتجاه الفكري لكل صاحب رأي أو فكر.

ومن الضروري وأنا أبحث في شخصية الأمير عبد القادر المتصوف والسياسي أن أستعرض تاريخ نشأته وتعليمه مبرزا أثرهما البالغ في صقل شخصيته الجمعية والتي جعلت منه رجل دولة ذات منظومة فكرية وتربوية وسياسية متميزة عن أنماط دول أخرى كانت معاصرة له مثل دولة آل عثمان وسلطان المغرب وشاه إيران وملك أفغانستان وباي تونس وباشا مصر وإمام اليمن[3].

فكيف استطاع الأمير أن يجمع بين التصوف والسياسة؟

إذا علمنا أن التاريخ الفلسفي الغربي خصوصا قديما وحديثا يفصل بين التصوف والسياسة على اعتبار أن التربية الروحية والصوفية تنتمي إلى دائرة الأخلاق والصفاء والطهر بينما السياسة هي ختل ومكر وخداع ولذلك فصل بينهما هوبز ونيتشه وكذلك ميكيافلي الذي كان كتابه الأمير إلى عهد قريب هو الإنجيل السياسي للنخبة الفكرية والسياسية التي تزعمت حركة الاستعمار الحديث. وعلى سبيل المثال فقد كان هتلر مولعا بكتاب الأمير لمكيافيلي حيث كان يضعه تحت وسادته ويقرأ منه كل ليلة قبل أن ينام ولقد كان نفس الكتاب موضوع أطروحة الدكتوراه للفاسيشتي موسيليني الذي نكل بآلاف الليبيين. ولقد نقل ماكس ليرنو في مقدمته لكتاب "أحاديث" أن لينين وستالين قد نهلا أيضا من فكر ميكيافيلي[4].

ومن تداعيات هذا الانفصال ما يعرف اليوم بفصل الدين عن الدولة في كتابات المفكرين العرب. ولا خلاص للعالم الإسلامي والعربي من التخلف والتعثر وكل مظاهر الاضطراب وعدم الاستقرار إلا بالفصل بين كل ما هو ديني صوفي ودنيوي سياسي. يشل التفكير الصوفي من التقدم الإجتماعي والسياسي والتكنولوجي ويجعل من عمارة الدنيا ربما مفسدة ومعيقا لبلوغ الآخرة .يقول نصر حامد أبو زيد: "فقد كانت الحركة الإنسانية في التصورات الصوفية حركة للخلاص الفردي بمعانقة المطلق والفناء فيه ويتحدد المنطلق الصوفي في تحقيق الفوز والفلاح في الآخرة ولا يتم ذلك إلا عبر الزهد في الدنيا والانقطاع إلى الله وطرح ماسواه"[5].

فهل كانت الروح الصوفية والفكرة السياسية حاضرة في دولة الأمير؟ وكيف أمكنه الجمع بينهما؟ ولماذا أسس دولته منذ أول يوم على بيعة شرعية احتُرِمت فيها إرادة المحكومين؟ وما علاقة هذا التأسيس بتعاليم زاوية القيطنة التي أسسها جده مصطفى بن مختار؟ وهل فصل الأمير بين الدين والدولة في مسيرته التاريخية؟

وفي هذا المقال بسط وبيان لكل هذه الإشكاليات.

1- مولد الأمير ونسبه:

1-1- مولده:

ولد الأمير عبد القادر يوم الجمعة في شهر ماي سنة 1807م في قرية القيطنة[6] على ضفة وادي الحمّام[7] في منطقة أغريس التي تقع في إقليم وهران[8] في الجزائر[9]. وقد ذكر ابن عمة الأمير ورفيق دربه مصطفى بن التهامي تاريخ مولده فقال "ومولود هذا السيد في أحد أو اثنين وعشرين ومائتين وألف من قرننا هذا"[10].

ويرجح يحي بوعزيز أنه ولد في 23 رجب 1222هـ الموافق لـ 26 سبتمبر 1807م ويؤكد أن هذا يخالف ما تواضع عليه المترجمون من أنه ولد في شهر ماي[11]. كما تذكر بعض المصادر أن سنة ميلاده هي: 1223هـ/ 1808م[12].

1-2- نسبه:

ينتمي الأمير عبد القادر إلى أسرة عريقة تنتهي سلسلتها الى النسب النبوي وذلك استنادا لما هو مقرر في كثير من المصادر. حيث يذكر نسبه على النحو الآتي "هو عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار بن عبد القادر بن أحمد المختار بن أحمد المشهور بابن حدّه وهي مرضعته بن محمد بن عبد القوي بن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبد القوي بن أحمد بن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى ابن الحسين السبط ابن علي بن أبي طالب وأمه فاطمة الزهراء بنت سيد الوجود محمد رسول الله صلّى اللّه عليه وسلّم"[13].

ويشير الأمير إلى فضل نسب أهل البيت وما حاباهم الله به من علم وبصيرة في الدين فيقول: "فأنا بفضل الله محفوظ الوارد، في المصادر والموارد، ليس علي للشيطان سلطان، إذ كلام الله تعالى لا يأتي به شيطان، ما تنزلت به الشياطين، وما ينبغي لهم وما يستطيعون، وكل آية تكلمت عليها إنما تلقيتها من هذا الطريق، إلا ما نذر، وأهل طريقنا – رضي الله عنهم – ما ادعوا الإتيان في الدين بشئ جديد، وإنما ادعوا الفهم الجديد في الدين التليد "[14]. ثم يورد حديثا نبويا صحيحا يستشهد به على فضل نسب أهل البيت الذي ينتمي إليه وهو المروي عن علي رضى الله عنه أنه قيل له: "هل خصكم رسول الله – ص– أهل البيت بشيء دون الناس؟ يعني من العلم، فقال: لا. والذي فرق الحبة، وبرأ النّسَمَة. إلا أن يكون فهما أُعْطيه رجل في كتاب الله"[15].

ثم يؤكد ذلك بقوله "ومن أراد أن يبلو صدقهم، فليسلك طريقهم، وأن القوم رضي الله عنهم ما أبطلوا الظواهر، ولا قالوا ليس المراد من الآية إلا ما فهمنا، بل أقروا الظواهر على ما يعطيه ظاهرها. وقالوا فهمنا شيء زائد على ما يعطيه ظاهرها"[16].

ولقد هاجرت أسرته إلى المغرب، ومن هناك انتقلت إلى نواحي وهران واشتهر رجالها بالورع وكانوا قدوة للناس[17] فهم في الأصل من فروع الأدارسة[18] الذين أقاموا دولتهم في المغرب من نسل محمد بن إدريس الأصغر.

كما لعبت أسرته دورا أساسيا في عهد الدولة العثمانية التي لم تعد تملك السيطرة على ممتلكيها في شمال افريقيا[19].

1-3- التعريف بزاوية القيطنة:

ويعود الفضل في مستقبل الأمير التعليمي الصوفي والسياسي إلى زاوية القيطنة[20] القادرية – التي بناها جده مصطفى بن محمد[21] وقد شرع في بنائها سنة 1206هـ الموافق لـ 1791–1792م. وكانت هذه الزاوية قبلة للمريدين وطلبة العلم من مراكش وسوسة وشنقيط وبرقة والإسكندرية. بها مسجد بناه أحد ولاة وهران وبه سبعة مجالس للتدريس. وورث محي الدين– والد الأمير – عن أبيه مهمة الإشراف على الزاوية التي تقوم بأنشطة علمية وتربوية واجتماعية من رعاية الفقراء وابن السبيل والقيام بالوساطات مع الولاة لقضاء مصالح المسلمين[22]. وزاوية القيطنة ليست مكانا واحدا مهجورا فهي تقع في وسط خمسمائة عائلة في مساكن من حجر يطلق على مجموعهم كلمة دوار وهو أحد الدواوير السبعة الموجودة بسهل غريس.

ولمّا كانت هذه الزاوية هي المهد الأول لنشأة الأمير عبد القادر، كان لزاما عليّ أن أتعرض إلى التعريف بمؤسس الزاوية الأم عبد القادر الجيلاني للوقوف على فلسفته التعليمية والتربوية وهل يوجد فيها ما يجمع بين الزاوية(التصوف) والمعركة (السياسة)؟

1-4- مؤسس الطريقة القادرية: عبد القادر الجيلالي:

يعود تاريخ تأسيس هذه الزاوية إلى الشيخ ابي صالح عبد القادر الجيلاني الذي عاش في الفترة الممتدة بين (470 – 562هـ /1078–1167م)[23]. والذي لم يكن من الزهاد الذين تصوفوا في الرباطات وشغلتهم مقاماتهم وأحوالهم عن إرشاد الناس ولذلك وقف الجيلالي ينادي الأمة، ويدلها على الأمراض التي تتهددها. ولقد تكلم الشيخ عبد القادر كثيرا وصاح بأهل العراق صيحات بليغة رفيعة المعني والمبنى منها قوله: "المتزهد المبتدي في زهده يهرب من الخلق، والزاهد الكامل في زهده لا يبالي منهم ولا يهرب منهم، بل يطلبهم، لأنه يصير عارفا بالله ومن عرف الله لا يهرب من شيء ولا يخاف من شيء سواه"[24].

ولما كان تصوفه سنيا متقيدا بالشرع فقد ذكره ابن تيمية فقال فيه: "من أعظم مشائخ زمانه أمرا بالتزام الشرع والأمر والنهي وتقديمه على الذوق والقدر ومن أعظم المشائخ أمرا بترك الهوى والإرادة النفسية"[25].

وسماه ابن القيم الشيخ العارف القدوة وذلك في قوله "وهو معنى قول الشيخ العارف القدوة عبد القادر الكيلاني: (الناس إذا وصلوا إلى القضاء أمسكوا إلا أنا فانفتحت لي فيه عروزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق، والرجل من يكون منازعا للقدر لا من يكون مستسلما للقدر)"[26]. وإنما استحق عبد القادر كل هذه المنزلة عند علماء السلف لأنه أقام تصوفه في رباط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كيف لا وهو القائل: "يا زهاد الأرض تقدموا، خربوا صوامعكم واقربوا مني، قد قعدتم في خلواتكم من غير أصل، ما وقعتم بشيء تقدموا"[27].

ولقد ورثت الزاوية القادرية في الجزائر في عهد الأمير عبد القادر هذه الحقيقة الصوفية التي تجمع بين روحانية الزاوية وجهاد السياسة فلقد كان من ذلك أن بويع الأمير بيعة شرعية بعد ترشيح من مقدم الزاوية[28] الذي كان يومها والده الشيخ محي الدين. ومن المستغرب أن أبا القاسم سعد اللّه يرى أنه من الخطأ الجسيم اعتبار جهاد الأمير عبد القادر كان منطلقه زاوية أبيه[29].

وتوجد الزاوية الأم لهذه الطريقة في بغداد ولها فروع في الجزائر وعلى كل فرع من فروع الزاوية مقدّم. وأول من أسّس لها فرعا في الجزائر هو جد الأمير عبد القادر مصطفى بن المختار الغريسي[30].

1- نشأة الأمير التعليمية:

ونذكر في هذا العنصر مراحل النشأة التعليمية للأمير في زاوية أجداده أولا ثم في مدرسة أرزيو وفي مدرسة وهران العمومية.

2-1- في زاوية القيطنة (الفترة الأولى):

وفي زاوية جده بدأ تعلمه .حيث علمه أبوه مبادئ القراءة والكتاب مع حفظ القرآن الكريم وعلوم الشريعة في سن مبكرة[31] وكان الأب يكثر من مجالسة ابنه ويقاسمه طعامه ويعلمه مبادئ التعامل وحسن الهيئة والمجالسة وقد شمل التأديب التدرب على الأعمال الصغيرة في الحقول والتمييز بين الأراضي الصالحة وغير الصالحة والجلوس مع رعاة الحيوانات وتعلم الصيد وركوب الخيل وحسن الرمي والتسديد[32] وكان من مظاهر التربية وحسن الرعاية على معاني القيادة والريادة للأمير الفتى اختلاء أبيه به لمدة ساعات يحدثه على سيرة الرجال العظام وأفكارهم. وكان الفتى ميّالا للمحادثة ويطرح الأسئلة باستمرار[33]. و"لقد كانت قدرات الطفل العقلية تتميّز بنضج مبكر غير عادي. وكان بمقدوره القراءة والكتابة وهو في سن الخامسة"[34].

ويشاء القدر أن ينشغل الأب المعلم عن الابن المتعلم بسبب ثورة ضد باي وهران التركي سنة 1818م والتي كانت دعما لثورة الفلاحين في المغرب ضد استبداد نظام الحكم وقد شارك فيها الجزائريون ذوي الأصل الأندلسي في تلمسان بقيادة الحاج محمد وعبد الله بن حوّى. وقد وجد محي الدين الفرصة مواتية لتأليب قبائل الغرب الجزائرى والمشاركة في هذه الثورة ولتأسيس جيش جزائري خالص لمجابهة المليشيات التركية التي نغصت عيش البوادي بالضرائب الجائرة [35].

وتمكن الباي من قمع الانتفاضة وألقي القبض على محي الدين وسجن في دار العريش بوهران. وفي وسط هذه النوائب لم ينس الأب واجبه التعليمي تجاه ابنه عبد القادر فقرر أن يعهد به إلى صديقه قاضي أرزيو أحمد بن طاهر ليواصل تعليمه عنده[36].

2-2- في مدرسة أرزيو:

ومن حسن حظ الشاب عبد القادر الذي كان يبلغ من العمر اثنا عشرة سنة أن يكون معلمه الثاني هو قاضي أرزيو الشيخ أحمد بن طاهر[37] الذي كان يشرف – بحكم منصبه – على توثيق كل العقود التجارية التي تتم بمرفأ مدينة أرزيو ذي الأهمية المعتبرة في هذه المدينة الغنية جدا بالآثار القديمة والصفقات الاقتصادية وخاصة صادرات الحبوب. فوجد القاضي نفسه على اتصال دائم بتجار ورجال أعمال كبار من أروبا وغيرها فتعلم منهم الكثير سواء في مجال الأفكار والعلوم الحديثة أو في مجال الأعمال المختلفة. مما أكسب القاضي علما غزيرا ومعرفة واسعة بالتطور الحاصل في العالم الغربي[38].

ووجد القاضي عند الأمير عبد القادر استعدادا وذكاء متميزين وشمل التعليم حسب ما تذ كر بعض المصادر النحو من كتاب نهج البلاغة للإمام علي وعلم العروض على منظومات شعرية لشعراء مثل ابن رشيق[39] الحسن المسيلي وابن هانئ[40] الذي عاش طويلا في نفس المدينة أيضا. وتعلم أيضا الرياضيات وخاصة الجبر والفلك والقوانين الفيزيائية والقضاء والفقه المالكي وفلسفة أفلاطون[41] ومنطق أرسطو[42] ونقتبس من كتاب الأمير لمؤلفه برونو إتيين فقرة فيها حوار علمي بين الأمير ومعلمه جاء فيها: (ارتجفت يدا الحكيم الشيخ وهو يبسط المخطوطة أمام عبد القادر ويتابع كلامه: هذه قطعة من مؤلف المنطقيات لأرسطو، وقد ترجمها معلمونا الأجلاء عن الإغريقية، وبدونهم ما كنت لتعلم كيفية بناء الكون، أيها

البدوي الجاهل! انظر هنا، هو ذا السماء والنجوم. كان عبد القادر يحب معلمه إلى حد لا يعرف فيه إزعاجه، لكنه قال له بلهجة وقار مصطنع: "يا معلم، هل تعبد الآن المخطوطات؟ "دفعت هذه الملاحظة ابن طاهر إلى الابتسام قائلا: "إنك تتعلم سريعا، يا بني، إنك تتعلم سريعا، لكن انتبه فالمعرفة يمكن أن تؤدي بك إلى التعاسة". أجاب عبد القادر مباشرة: "لا يهم لأن نبيّنا – ص– أمرنا أن نطلب العلم ولو في الصين". فقال الشيخ: كم أنت فتيٌّ! إليك تماما ما علّمنا الإغريق: يوجد فرق ما بين العلم والمعرفة يا عبد القادر، وستكون هذه وظيفتك القادمة، إنما عليك من أجل إعدادها أن تقرأ ابن باجه ومتوحده، ثمّ ابن طفيل، وستبين لي رأيك في قصة حيّ بن يقظان ربيب الغزال أو الفيلسوف بدون معلم، وذلك من خلال قراءتك لأرسطو، سأسلمك هذه المخطوطة، ستعيدها إلي، لنقل غدا مساء. اذهب الآن لأقامة الصلاة)[43].

كما قرأ اللاهوت والفلسفة في كتب حجة الإسلام أبي حامد الغزالي. وفي علمي التاريخ والجغرافيا حيث اكتشف عبد القادر على يد معلمه أوطانا وثقافات وشعوبا وحضارات. وفي تاريخ المسعودي وابن خلدون أدرك الأمير كثيرا من المعارف والفنون والموسيقى والميتافيزيقا والدين وسائر العلوم وقوانين التطور والضعف في الدول والحضارات. ولم يقتصر التعليم على الجانب النظري والفكري بل تعداه إلى التربية البدنية في شكل تدريبات عسكرية على الفروسية واستعمال أسلحة الصيد والقتال[44].

وبعد خروج محي الدين من سجن العريش وبسبب تقدم سن المعلم أحمد بن طاهر، أشار هذا الأخير على والد الأمير بأن يستكمل الابن تعليمه في مدرسة وهران عند قريب له يدعى عثمان خوجه. إلاّ أن محي الدين آثر أن يمر ابنه بفترة انتقالية ثانية في زاوية القيطنة[45].

2-3- في زاوية القيطنة وتعميق علوم الشريعة والتصوف والسياسة (الفترة الثانية):

أ- العلم الشرعي في زاوية القيطنة:

وبعد عودة الأمير من مدرسة أرزيو، يفضل والده أن يمسكه في زاوية القيطنة ويخصص له جناحا في الجامع العائلي يلقي فيه دروسا في تفسير القرآن وأحكام التلاوة وبعد عامين تحصل على لقب حافظ ولا يمنح هذا اللقب إلا لمن تمكن من حفظ القرآن كله عن ظهر قلب مع التمكن من تفسيره والإحاطة بأقوال العلماء[46] ولا يخفى على دارس أن من اشتغل بتدريس تفسير القرآن فإنه سيحيط بكل علوم الدين لأن القرآن هو مصدر كل العلوم العقدية والشرعية التي جاء بها الإسلام. ولقد كانت هذه المنزلة العلمية والتعليمية مهمة في مستقبل الأمير الصوفي والسياسي فلقد أصبح في أعين مريدي الزاوية الأب الروحي لهم بعد محي الدين وهذا – وربما أكثر منه – ما سيشعر به الأمير في قرارة نفسه ولقد ذكر هنري تشرشل "وكان الهدف من طموحه الشبابي هو أن يصبح مرابطا عظيما، كما كان والده الذي كان يكن له حبا وإعجابا حماسيا يكاد يكون عبادة"[47]. ولا يخفى علينا أن كتاب تشرشل هو في مجمله إملآت نفثها الأمير عبد القادر نفسه على هذا الضابط البريطاني[48] فلا غرابة في أن يحوي حياة الأمير بكل دقائقها وأسرارها.

ب- التربية الصوفية وبداية الوعي السياسي في زاوية القيطنة:

لقد بلغ عبد القادر سن الرشد حيث أصبح يصوم شهر رمضان وبلغ سنه الأربعة عشر عاما وكان يتشوق إلى ما كان يدور في حلقة الأوراد الصوفية أو كما يسميها برونو إتيين في كتابه عن الأمير بالاحتفالات والتي كان يشرف عليها محي الدين شيخ الزاوية. ولقد مضى على الأمير وقت وهو يستمع من سطح الزاوية مع رفقاء له إلى هذه الأوراد[49]. وذات يوم دخل الأمير إلى حضرة أبيه الصوفية والتي كانت على يسار القبلة

وكان ذلك قبيل صلاة المغرب حيث شع على المكان ضوء قنديل زيت واحد وضع في النجفة الكبيرة من الزجاج المزخرف التي أحضرها جدّه – مصطفى – من بغداد[50].

وأجلس محي الدين ابنه وبدأ معه الحديث عن التصوف بذكر حديث أبي هريرة الذي قال فيه "حفظت من رسول الله وعاءين: فأمّا أحدهما فبثّته، وأمّا الآخر لو بثّته قطع هذا الحلقوم"[51]. ولقد أراد الشيخ محي الدين أن يؤصل لابنه عبد القادر مشروعية علم التصوف من خلال حديث أبي هريرة، حيث بيّن له أنّ هناك طريقين للوصول إلى الله وكلاهما مشروع، ثمّ أخبره أنّ مكان الزاوية خاص يختلف عن مكان المسجد الذي يرتاده كلّ النّاس والذي تقام فيه الصّلاة وتلقى فيه خطبة الجمعة وتدرّس فيه علوم الشّريعة، أمّا مكان الزاوية" فستتعلّم فيه ما هو خفي نسبة إلى ما هو ظاهر"[52].

وأردت قبل مواصلة ما جرى بين محي الدين وابنه الأمير حول مشروعية علم التصوف أن أشير إلى ما ذكره كلّ من الحافظ ابن كثير والحافظ الذهبي حول حديث الوعاءين الذي أورده أبو هريرة رضي الله عنه، حيث ذكر الأول فقال:"وهذا الوعاء الذي كان لا يتظاهر به هو الفتن والملاحم وما وقع بين النّاس من الحروب والقتال، وما سيقع مع معرفة أبي هريرة لها، التي لو أخبر بها قبل كونها لبادر كثير من النّاس إلى تكذيبه وردّوا ما أخبر به من الحق، كما قال: لو أخبرتكم أنكم تقتلون إمامكم، وتقتتلون فيما بينكم بالسيوف لما صدقتموني"[53]. وقال الحافظ الذهبي في تأويل الحديث: "هذا دالّ على كتمان بعض الأحاديث التي تحرك فتنة في الأصول، أو الفروع، أو المدح أو الذّم، أمّا الحديث فيما يتعلّق بحلّ أو حرام فلا يحلّ كتمانه فإنّه من البيّنات والهدى"[54].

والملاحظ أن قول الذهبي أقرب لأن يكون أشمل لبعض ما رامه شيخ زاوية القيطنة من اشتمال علوم الإسلام على أصول أو فروع قد يخفى أمرها على بعض الناس، بينما حصر ابن كثير الأمر في وقائع الملاحم وأحداث الفتن.

ونعود إلى الأمير في زاوية أبيه الذي بدأ يسأل أباه عن أشياء كثيرة منها معنى الورد والذكر في الزاوية فأجابه أبوه بكلام كثير لم يفهم الفتى الأمير بعضا منه، وممّا قاله محي الدين لابنه:"في البدء هذه تذكرة الله لك، دون أن تعلم، يجب أن تعود إليها بإحيائها بدءا بطريق الأسلاف والمعلمين والأجلاّء الذين أورثوها لنا. إنّ أبي مصطفى تلقّى السلسلة من المعلّم الشهير السيّد مرتضى الزبيدي في العام 1791م ونقلها لي، لأنقلها إليك بدوري، وستعرف قريبا يا عبد القادر وستكون خليفتي في هذه الزاوية، التي تربطنا بالمؤسس وبالنبي بالذات"[55].

وفي مساء يوم ثلاثاء وصل رجل غريب إلى الزاوية واختلى طويلا بالشيخ محي الدين وبعد صلاة العشاء بلّغ المقدم للمؤمنين عن اجتماع طارئ لأنّ أشياء خطيرة تجري في أروبا والمشرق[56]. وهنا يمكننا أن نلاحظ كيف يلتقي الدور الصوفي بالسياسي في زاوية القيطنة. ولاحظ الأمير إشارة أبيه الخفية لبعض الحضور الذين لم يغادروا مكان الصّلاة ثمّ كيف انتقلوا إلى غرفة صغيرة مجاورة وطلب الأب من ابنه أن يلتحق بهم. واستوى الجميع في صف واحد ماعدا عبد القادر الذي أجلسه أبوه بجانبه. وبدؤوا في الذكر الجماعي الصوفي مصحوبا بالضرب على الدّف. وشعر عبد القادر أنّ جسمه محمول كليّا في دوامة بطيئة، ورأى نفسه يرتل الشهادة دون وعي منه تقريبا وتوحدت الضجة في صوت واحد يتضرّع بوحدانية الواحد"هو، هو، هو" وتوقف الذكر الصوفي في ساعة متأخرة من الليل. وبعد ذلك أذن الشيخ محي الدين للرجل الغريب بالكلام فتحدث

مطوّلا عن عوالم عديدة وبعيدة عن سهل غريس منها ما هو أنيس ومنها ما هو معادٍ، ولن تتاح معرفة هذه العوالم عن حقيقتها إلاّ بالرحلة في الزمان والمكان[57]. ونستفيد من هذا أن زاوية القيطنة كانت تمارس نوعا من التربية السياسية لمريديها. واستمر الذكر الصوفي من خلال مدائح نبوية ورقص صوفي حتّى طلوع الفجر.

ولاحظ محي الدين في وجه ابنه الحيرة والرعب بسبب كل ما رأى وسمع. والذي أخذ يسأل شيخه – الذي هو أبوه – عن أشياء كثيرة. وتبسّم الشيخ وقال لابنه: "لا تتسرع يا بني فالطريقة أمامك، وستحمل يوما وردة سيدي عبد القادر، أمّا بالنسبة لما شاهدته فإنّ الحقيقة بالنسبة لك في هذه المرحلة من حياتك هي ترتيل القرآن وهو دلالة الإيمان اللّفظي لكلّ المؤمنين أمّا الورد الذي سمعته هذا المساء إنّما هو اختيار بينما الآخر فريضة (....) يا بني إنّنا ننتمي إلى سلسلة طويلة خاصة، بفضل أسلافك، سيدي مصطفى الذي تلقى التولية من سيدي مرتضى الزبيدي في مصر وكان شعاره حمل سبحته وسيفه وهو شعار بيتنا منذ أن جاء جدّك القروي من الرّيف ليقود جماعتنا هنا بمشيئة الله[58] ولا يفوتني أن أشير أن شعار السبحة والسيف الذي ذكره محي الدين هو ما قصدته في الصفحة رقم 5 من هذا المقال في عبارة تتكون من كلمتين هما: الزاوية(التصوف) والمعركة (السياسة).وفي قول محي الدين"وكان شعاره حمل سبحته وسيفه وهو شعار بيتنا." هو تأكيد على الدور السياسي والاجتماعي العريق لزاوية القيطنة التي ورثته عن العارف القدوة – وهي عبارة ابن القيم–الشيخ عبد القادر الجيلاني[59] وهي معانٍ فيها ما فيها من التربية السياسية للفتى الأمير الذي شاء له القدر أن يرث من زاوية أبيه السبحة ومعها السيف. ومن الأمانة العلمية والأخلاقية أن نحافظ على ميراث الناس غير منقوص.

ولكنّ الفتى سأل قائلا: أبت، ما لا أدركه: أيّ فرق بين مبدأ هذه الرّابطة الأخوية التي تديرها وذلك المسلك الذي تتحدّث عنه؟ وأعجب محي الدين بسؤال ونباهة ابنه فردّ قائلا: سؤال جيّد يابني! فلنقل وهذا يكفيك حاليا، إنّ درب التدرّب ضروري لبعض النّاس الذين لا يذهبون بعيدا جدّا، والواقع أنّني أنا بالذّات وضعت مؤلّفاتي لإرشاد المتدربين المتعلّمين وأنت تعرفه[60] لأنك وجدته كما قلت لي غير كاف(...) وفيما بعد سنذهب لزيارة مؤسس طريقتنا، عبد القادر الجيلاني، وقد عاش في القرن السادس الهجري وضريحه قائم في بغداد. ثمّ سنذهب لزيارة معلّمنا الأكبر، معلّمنا الحقيقي، الشيخ الأكبر ابن عربي في دمشق، كان يحمل اسمي نفسه: محي الدين وقد ولد في مرقية[61] وكانت في الأندلس وهي إحدى ممالك المسلمين وعَرَفَ علماءَ تلك البلاد التي ضاعت ومنهم ابن رشد الذي تناظر معه، ثمّ رحل كما قدّر له وعلّم في المغرب وحتّى في المشرق حيث توفي عام 638 هـ ونحمد الله على أن ترك لنا مؤلفات عديدة [62] يمكنك من الآن أن تتذوّق بهجتها"[63].

من خلال كل ما تقدّم من الحديث عن التصوف في زاوية القيطنة نؤكد مرة أخرى أن الأمير عبد القادر منذ أن كان يافعا قد تربى تربية صوفية سواء من ناحية الممارسة أو من ناحية التصور في زاوية القيطنة في الجزائر ولم تكن بداية تصوفه في دمشق التي هاجر إليها بعد ذلك. كيف لا وشيخه هو محي الدين كان ضليعا في علم التصوف وأنه كان متأثرا بمحي الدين بن عربي الأندلسي حيث كان على دراية بمؤلفاته في هذا الشأن.

2-4- في المدرسة العمومية بوهران:

ولما أصبح للأمير أربع عشرة سنة، وقد تأكد والده محي الدين من رسوخ علم الزاوية في قلب ابنه أرسله إلى مدرسة وهران أخذا بنصيحة صديقه معلم مدرسة أرزيو[64].

وتتميز مدرسة وهران التي كان يشرف عليها حمدان خوجة بالتعليم العصري وتتبع منهجا تعليميا كان سائدا في فرنسا يومها وهو الذي يسمى بالمنهج التبادلي في التدريس (méthode mutuelle) وقوام هذا المنهج أن يقوم الأستاذ بإلقاء المادة العلمية على طلبته على السبورة في مختلف المواد ثمّ يأتي دور المعيد من بعده ليتأكد من أن الطلبة قد استوعبوا المادة العلمية وأنهم يتحسنون في كل العلوم الملقاة عليهم وهي كما تذكر بعض المصادر: القرآن والحديث واللغة والحساب والجغرافيا[65] كما قرأ الأمير كتب الفلاسفة وأخذ النحو وعلم البيان والمنطق عن بعض علماء وهران، كالسيد مصطفى بن الهاشمي، والشيخ محمد بن نقريد[66]. وبصفة عامة فإن ما تلقاه الأمير من علوم في هذه المدرسة كان تحسينا وتعميقا لما تلقاه في مدرسة أرزيو.

ولعل ما استجد للأمير في مدرسة وهران– خاصة – هو نوعية المتعلمين حيث كان التعليم مقتصرا على أبناء المسؤولين الأتراك الكبار وأبناء العائلات الجزائرية الثرية. وقد اكتشف الأمير كثيرا من أسرار مدينة وهران الاجتماعية والسياسية من ذلك طبائع غير حسنة عند هذه الطبقات الراقية التركية والجزائرية الموالية لها.

ولقد كتب بول آزان يصف مشاعر عبد القادر في هذه الفترة الحسّاسة من حياته فقال" إن المشهد الذي كان عبد القادر يراه بأم عينه في وهران صدم شعوره .فجنود الباي كانوا يغالون في التجاوزات، وسكان المدينة من الحضر كانوا يجهلون مبادئ القرآن، وكان المسيطرون الأتراك يعاملون العرب باحتقار. وكان الفارق مهولا بين المدينة الكبيرة الملحدة المستخفة (...) وقطنة واد الحمّام حيث اعتاد على نقاوة الأخلاق، وعلى حياة تتسم بالبساطة والورع – وهذا مايفسر– سبب الكراهية المقيتة التي أكنها للأتراك منذ ذلك الوقت.هؤلاء الأتراك الذين يعتبرهم أعداء الله، ومضطهدي بني عرقه في الوقت نفسه"[67]

2-5- الرجوع إلى زاوية القيطنة وتعميق التربية الوطنية والسياسية (الفترة الثالثة):

وممّا استفاده الأمير عبد القادر – ابن الخمسة عشر عاما – من وهران كما أشرنا سابقا هو شعوره بكثرة المظالم التي تمارسها السلطة العثمانية وأعوانها على الطبقات الشعبية المحرومة. ولمّا عاد إلى القيطنة، كانت المواضيع التي تتم في الزاوية عادة بين صلاتي المغرب والعشاء وفي أحيان كثيرة إلى ساعة متأخرة من الليل، تدور حول البحث عن حلول لاختلالات كبيرة في حياتهم أهمّها التصرفات السيّئة لإدارة البايلك وضباطها المرتشين والخلافات القبلية الحاصلة بسبب ولاء بعضها لإدارة البايلك. والوضع البائس لغالبي سكان البوادي[68].

وكان محي الدين في غير ما مرة يجد نفسه يشرح لابنه عبد القادر ضرورة الكفاح من أجل التحرر من نير الأتراك. ويبين له أن هذا الكفاح فريضة شرعية وضرورة واقعية، حيث لايوجد حق وعدل، فمن جهة توجد حياة الإقطاعيين الأتراك الذين يعيشون حياة غزاة على أرض الجزائر وفي المقابل يثقلون كاهل سكان البوادي بالضرائب الباهظة. ويزداد الأمر شدّة بسبب جماعات المخزن[69] التي تزرع اليأس ولا تصلح وتدفع بالناس إلى أحد الخيارين وكلاهما مرّ، إمّا الخضوع التّام للنظام الإقطاعي أو العيش في الخفاء وسط المطاردة والخوف[70].

ولقد كانت زاوية محي الدين هي مهد الوعي الاجتماعي والسياسي المستمدين من ميراث السبحة والسيف كما أشرنا سابقا، هذا الميراث الذي يسمى بالرّباط فتحته إدارة محي الدين بصفته شيخ بني هاشم، تحولت القيطنة إلى مركز اتصال دائم لرواد الزاوية على اختلاف مقاصدهم حيث نجد منهم الوجهاء والأعيان والمرابطين[71] ومنهم طلبة العلم الذين يستفيدون من ثلاثة أشياء مجانا: العلم والغذاء والمأوى ويقصد الزاوية

أيضا علماء زائرون وكذلك معوزون يطلبون الطعام لهم ولعائلاتهم. ومسافرون يحطون الرّحال للراحة وزوّار يبحثون عن كلّ ما هو روحي في مكان يوصلهم بضريح مؤسس الزاوية القادرية الأم في بغداد. وكان محي الدين الرجل الذي يحمل شعار السبحة والسيف يرفض هيمنة الأتراك على أرضه وشعبه، فكان كثيرا ما يعقد جلسات مع وطنيين للبحث عن سبل وكيفية المطالبة بحقوق الفئات المظلومة والمتابعة من طرف إدارة الباي وميليشياته. وكان هؤلاء المظلومون الفارّون يجدون المأوى والذكر والعلم والفكر في زاوية القيطنة. وكان محي الدين يبدل الكثير من الجهد والمال لإعالة وضيافة كل هذه الأصناف من الواردين على زاوي[72].

وهكذا يشاء القدر مع مرور الزمن أن يتشكّل في قرية القيطنة وطن صغير متميز في تضاريسه وفي طبقة رواده عن باقي أرض البايلك الوهراني، حيث بدأ الشعور بالانتماء إلى مصير واحد مشترك يجمع قبائل المنطقة التي تربطها بزاوية محي الدين رابطة الحب والولاء. وكان مقدم الزاوية محي الدين كثيرا ما يحدث مريديه عن أطماع العنصر التركي في خيرات هذا الوطن وكذلك سرّ تعرض الوطن باستمرار إلى حملات غزو أجنبية من طرف انجلترا وفرنسا على الخصوص. وسيرث الأمير من أبيه هذا المنهج الذي يخرج بالتصوف من عزلته الفلسفية في جزيرة السعداء كما يصورها ابن الطفيل[73] الى منهج الفارابي الذي يشترط أن يكون رئيس المدينة نبيا أو فيلسوفا[74].

خاتمـــة

بعد كل هذا العرض المستفيض لنسب الأمير عبد القادر ولنشأته التعليمية المتنوعة والثرية على أكثر من شيخ يتأكد لنا أن الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية قد جمع في شخصه التكوين الصوفي والسياسي الذي بفضله وضع به أساسا للأمة الجزائرية التي أسست من أول يوم على تقوى من الله ورضوان[75]. وان المهد الصوفي الأول الذي نشأ فيه الأمير الفتى هو زاوية أجداده" القيطنة "بالغرب الجزائري والتي لعبت دورا سياسيا بارزا كما بينا.والحديث عن الأمير بوجهيه الصوفي والسياسي غرضي منه التنصيص على هدفين اثنين.

أولهما: بيان أهمية المرجعية وأثرها في تطور الشعوب. فإن أوطاننا العربية والإسلامية لايمكنها تحقيق الإقلاع الحضاري بالقفز على خصوصيات الذات في الهوية والثقافة. والكثير من الليبيراليين والحداثيين – للأسف– اعتقدوا أن التحديث هو استيراد كل مافي الغرب من تقنيات وأفكار لا إنسانا حرا ووطنا مستقلا واعتمادا شعبيا على الذات وحفاظا على الخصوصيات. وهذا عين ما قام به الأمير عبد القادر في تجربته السياسية.

وثانيهما: أن يبادر أصحاب الكفاءة والعلم والخلق في كل الدول والمجتمعات لقيادة الناس وتبوأ الصدارة كما فعل الأمير عبد القادر المتصوف القائد في تاريخ الأمة الجزائرية الذي خالف في ذلك منهج ابن الطفيل الذي " اعتبر الانسحاب من مضطرب الحياة الاجتماعية الى هدوء المهجر الصوفي منهجا لابديل له لانقاذ الأذكياء ذوي النباهة والإدراك الممتاز من شرور مدارك عامة الناس في المجتمع "[76]. ومما يتصل بمباحث الفلسفة التطبيقية هو تقويم السلوك السياسي الذي بات يهدد الأمن الاجتماعي والدولي من خلال الصراع الطائفي والعرقي والنزوع نحو التسلح والحروب وما أحوج العالم اليوم إلى كبح لجام السياسة بروح التصوف حتى ينتشر التسامح بين المتخالفين وتخمد نيران الحروب وتهنأ البشرية بالأمن والسلم.

-الإحالات والهوامش:

1- أحمد الراشد، الرقائق، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984م، ص 40.

2- أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، طبعة بومباي، الهند، 1885م، ج2، ص 413.

3- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، دار الرائد، دار المعرفة، 2009م، ص 6.

4- مكيافللي، الأمير، ترجمة أكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع، مصر الجديدة القاهرة، 2004م، ص 90.

5- نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط1، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط، المملكة المغربية، الباب الثالث " حويل مفهوم النص ووظيفته"، 2014م، ص 245 و246م.

6- القيطنة لغة مشتقة من القَطَنْ بمعنى الإقامة ضد الضَعَنْ وهو الترحال.قال تعالى "يوم ضَعَنكم ويوم إقامتكم " سورة النحل الآية 80.وهذا يفيد أن أجداد الأمير لم يكونوا رحلا أهل عمود بل كان لهم موطن قا ر وهذه من مزايا الأشراف. والقيطنة قرية تبعد عن معسكر بـ 28كلم. يقصدها طلاب العلم لوجود الزاوية القادرية بها. وقد شيدت القيطنة من طرف جد الأمير مصطفى المختار سنة 1206هـ/1791م.انظر الأمير محمد، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، المطبعة التجارية، غرزوزي وجاويش، الإسكندرية، 1903م، ج2، ص 302.

7- وتعزى تسمية هذا الوادي إلى منبعي ماء ساخن (حمّام). وهي ظاهرة مألوفة في الجزائر، البلد المتميّز بنشاط زلزالي كثيف ويوجد على جوانب هذين المنبعين آثار رومانية ".انظر: Pierre Montagnon, La conquête de l'Algérie,Les germes de la discorde, 1830-1871.éd.Pygmalion,Paris, 1986, note,p.138. نقلا عن قدور محمصاجي، شباب الأميرعبد القادر، ترجمة مختار محمصاجي، ديوان المطبوعات الجزائرية، بن عكنون، الجزائر، 2007 م، ص 44.

8- وهران: بناها خزر بن حفص المغراوي سنة 290هـ (التي تمتد بين ديسمبر 902 ونوفمبر 903م) وذلك بأمر من الخليفة عبد الرحمان بن الحاكم بن هشام بن عبد الرحمان الداخل الخليفة الأندلسي. وقد أسسها على السفح الشرقي للجبل الذي يحمل عدة أسماء منها: هيدور نسبة لرجل علم، ومرجاجو وهو اسم شخص زناتي أو إسباني، والمائدة وهي صفة لقمته المنبسطة .كما يحمل اسم سيدي عبد القادر. ينتمي سكانها القدامى إلى مغرواه ونفزاوة ويعود تأسيسها إلى ما قبل عهد الفينيقيين كان يطلق عليها المرسى الصغير وهي عاصمة إيالة الغرب في العهد العثماني. انظر: الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ج1، ص ص 55-59.

9- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 61.

10- مصطفى بن التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق وتقديم وتعليق يحي بو عزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع 2009م، ص 50.

11- المرجع نفسه، ص 50 في الهامش.

12- انظر كل من: محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، والمؤسسة الوطنية للطباعة، 1982م، ص 12. وإسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص 39.

13- الأمير محمد، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، مرجع سابق، ج2، ص 297.

14- الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، تحقيق عاصم إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004 م – 1452 هـ، الموقف الأول، ج 1، ص 43.

15- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ت، كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير، حديث رقم 3046، ج6، ص 167.

16- الأمير عبد القادر، المواقف، مرجع سابق، الموقف الأول، ج1، ص 44.

17- نزار أباظة، الأمير عبد القادر الجزائري، العالم المجاهد، ط1، دار الفكر، دمشق، 1994م، ص 9.

18- دولة الأدارسة: أقيمت دولة الأدارسة في المغرب على يد إدريس الأكبر عام 172هـ- 788م وسقطت في عهد آخر **ملوكهم** محمد المستعلي بن إدريس بن علي عام 459هـ 106م. راجع الأميرة بديعة الحسني الجزائري، فكر الأمير عبد القادر الجزائري حقائق ووثائق ط 1، دمشق، دار الفكر للطباعة، 2000م، ص 16.

19- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط 5، دار العلم للملايين، 1968م، ص 619.

20- سبق الإشارة إليها. انظر الإحالة رقم (6).

21- هو مصطفى بن محمد بن المختار. مات أبوه وهو صغير. تفقه على يد أعمامه في سهل غريس بمدينة معسكر. سافر إلى الحج وحج في كل واحدة حجتين وزار المسجد الأقصى ثم دمشق ومنها إلى بغداد وهناك انخرط في الطريقة القادرية ثم رجع الى الجزائر وبنى زاوية القيطنة. أدركه الموت سنة 1212هـ/1798م وهو راجع من حجته الرابعة وقبره بمنطقة درنة الليبية عند عين بساحل البحر يقال لها عين غزالة وقد كتب على قبره "هذا قبر سيدي الحاج مصطفى الغريسي".انظر مصطفى بن التهامي: سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، مرجع سابق، ص 48.

22- مصطفى بن التهامي، المرجع نفسه، ص 49.

23- عبد القادر الجيلاني، السفينة القادرية، تحقيق عبد الجليل عبد السلام، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م، ص 5.

24- محمد أحمد الراشد، المنطلق، ط1، مؤسسة الرسالة، شارع سوريا، بيروت، 1975م، ص 114.

25- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 2004م، ج 10، ص 488.

26- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفقي، ط 2 دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1993م، ج 1، ص 199.

27- محمد أحمد الراشد،المنطلق، مرجع سابق، ص 115.

28- مقدم الزاوية عبارة معناها قيم الزاوية ورئيسها.

29-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ج4، ص 44.

30- يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009م، ج1، ص 470.

31- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 39.

32- قدور محمصاجي، شباب الأمير عبد القادر، مرجع سابق، 2007م، ص 65.

33- المرجع نفسه، ص 66.

34- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 47.

35- قدور محمصاجي، شباب الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 67

36- المرجع نفسه، ص 68.

37- أحمد بن الطاهر الرزيو، قاضي أرزيو، أصله من مدينة أرزيو تولى القضاء لدى الأتراك بوهران، ودرس عليه الأمير عبد القادر في صدر شبابه عندما فرض عليهم الباي حسن الإقامة الجبرية، لكن بعد أن تولى الأمير الإمارة قدمه للمحاكمة وأعدمه في مدينة معسكر، بعد أن ثُبت تعامله مع الفرنسيين أعداء البلاد. انظر يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة قي الجزائر المحروسة، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م، ج2، ص 210.

38- قدور محمصاجي، شباب الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 69.

39- أبو الحسن ابن رشيق، أحد أعلام اللغة والأدب. ولد في المسيلة سنة 385هـ/ 995-996م. ثم مال إلى الأدب وقال الشعر، فرحل إلى القيروان عاصمة الدولة الأغلبية سنة 406هـ ومدح ملكها المعز لدين الله الفاطمي، واشتهر فيها. وحدثت فتنة فانتقل إلى جزيرة صقلية، وأقام بمازرة [Mazzara] إحدى مدنها، إلى أن توفي بها سنة 463هـ/ 1071م. من كتبه: - قراضة الذهب - الشذوذ في اللغة- أنموذج الزمان في شعراء القيروان-ديوان شعره - ميزان العمل في تاريخ الدول- شرح موطأ مالك- الروضة الموشية في شعراء المهدية - تاريخ القيروان - المساوي في السرقات الشعرية - العمدة في صناعة الشعر ونقده وبه اشتهر، قال

فيه ابن خلدون، "إنه انفرد به في هذه الصناعة وأعطاها حقها ولم يكتب فيه أحد قبله ولابعده " أنظر، يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، مرجع سابق، ج1، ص 28 – 29.

40- ابن هانئ، ولد بإشبيلية أديب وشاعر، هاجر بعد فتنة إلى المغرب ثم إلى المسيلة بالجزائر وكانت له بها حضوة ثم طلبه المعز أبو تميم العبيدي فأ كرمه. كان معاصرا للمتنبي. ذكر ابن خلكان روايات عديدة في سبب موته الذي كان في سنة 362هـ. له ديوان شعري كبير. انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1978م، ج 4، ص 421 وما بعدها.

41- أفلاطون، (427 – 347 ق م) ولد في أثينا في أسرة عريقة الحسب، من أكبر فلاسفة اليونان وصاحب أحد أكبر مذهبين في الفلسفة وهو المذهب المثالي، وهو الناقل الأساسي لفلسفة سقراط، بعد موت معلمه سقراط اتجه إلى ميغاري حيث اتصل بإقليدس الرياضي الكبير، ثم إلى مصر واتصل بمدرستها الكهنوتية، واطلع على علم الفلك ثم زار إيطاليا وصقلية .وبعد عودته إلى أثينا سنة 387 ق م أنشأ الأكاديمية التي ظل يدرس ويكتب فيها أربعين سنة من أهم مؤلفاته: أوطيفرون، غورغياس، المأدبة، الجمهورية. انظر عبد القادر تومي، وجوه الفلسفة، طبع بمطبعة دار هومة، الجزائر، 2009م، ص 21.

42- أرسطو، (384 _ 3234ق م) فيلسوف ومعلم وعالم يوناني، ترك أثرا كبيرا في الفكر الإنساني، ولد في مدينة اسطاغير بمقدونية .دخل في سنة 366 ق م إلى أكاديمية أستاذه أفلاطون بأثينا وقضى فيها عشرين سنة وبعد وفاة أستاذه انتقل إلى طروادة ثم جزيرة لسبوس .كلفه فيليبس المقدوني بتعليم ابنه الإسكندر الذي تولى العرش سنة 344 ق م، رجع أرسطو إلى أثينا ثم تركها مضطرا إلى خلقيس حيث توفي بها .من مؤلفاته: ما بعد الطبيعة، المقولات، العبارة ، تاريخ الحيوان، السماع الطبيعي. انظر، المرجع نفسه، ص 23.

43- برونو إتيين، عبد القادر الجزائري، ترجمة ميشيل خوري،ط1، دار عطية للنشر، بيروت، لبنان، 1997م، ص 65.

44- قدور محمصاجي، شباب الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 71 ومابعدها.

45- المرجع نفسه، ص 74.

46- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 47.

47- المرجع نفسه، ص 48.

48- استغرق وقت اللقاء المتكرر بين الأمير وشارل هنري خمسة أشهر بمعدل ساعة يوميا. أي أن المدة الزمنية لإملاء المذكرات كانت حوالي 150 ساعة .انظر حياة الأمير لهنري تشرشل، ص 59.

49- برونو إتيين، الأمير عبد القادر الجزائري، مرجع سابق، ص 56.

50- المرجع نفسه، ص 56.

51- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، مرجع سابق، كتاب العلم، باب حفظ العلم، رقم الحديث 120، ج1، ص 216.

52- برونو إتيين، الأمير عبد القادر الجزائري، مرجع سابق، ص 59.

53- ابن كثير، البداية والنهاية، دارالتقوى، القاهرة ، 2004م، ج4، ص 590.

54- الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط7، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1990م، ج1، ص 262.

55- برونو إتيين، الأمير عبد القادر الجزائري، مرجع سابق، ص 58.

56- المرجع نفسه، ص 58 وما بعدها.

57- المرجع نفسه، ص 60.

58- المرجع نفسه، ص 61.

59- راجع ما قاله ابن تيمية وابن القيم في مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني في ص 5 من هذا المقال.

60- لعله كان يقصد كتابه الذي وضعه لأتباع الطريقة والمسمّى: إرشاد المريد ين الذي شرع في تأليفه واتمّه بعد عودته من الحج، أو ربما يقصد كتابا آخر.

61- يقصد بها مرسية بالإسبانية (Murcia): هي مدينة أندلسية تقع في جنوب شرق إسبانيا على ضفاف نهر سيجورا، تطل على البحر المتوسط، أسسها عبد الرحمان الداخل سنة 825م. ومن أهم شخصياتها في التاريخ الإسلامي ابن عربي. انظر موقع المعرفة.http://www.marefa.org/index.php شبكة الأنترنيت، تاريخ الدخول: 2016/10/30م.الساعة 22.09.

62- يفيد السياق أن زاوية القيطنة كانت تحوي بعضا من مؤلفات ابن عربي خصوصا ماتعلّق منها بالتصوف ومن غير المستبعد أن يكون الأمير قد نهل منها في صباه وبقدر ما تحتاج هذه المسألة إلى عميق بحث إلاّ أنها تبيّن أن الأمير عرف التصوف وقد قرأ لابن عربي قبل أن يتحول إلى الشام.

63- برونو إتيين، الأمير عبد القادر الجزائري، مرجع سابق، ص 62.

64- قدور محمصاجي، شباب الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 74.

65- المرجع نفسه، ص 77.

66- آسيا تميم، الشخصيات الجزائرية 100 شخصية، د ط، دار المسك، الجزائر، 2008م، ص 15.

67- Paul azane, L'émir Abdelkader (1808-1883).Du fanatisme musulman au patriotisme francais. Hachette, Paris, 1925 pp 199-200.

نقلا عن محمد محمصاجي، شباب الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 81.

68- المرجع نفسه، ص 48.

69- جماعات المخزن: تتكون من أصول وأنساب مختلفة وهي عبارة عن جهاز إداري تعينه السلطة العثمانية في الجزائر، يقوم بمهام عسكرية وجبائية تخص سكان الأرياف الخاضعة والقبائل البدوية الممتنعة في الجبال، كما تستعمل لإخماد حركات التمرد وإقماع العصاة. ولقد ارتكبت كثيرا من المظالم .وحققت كثيرا من الامتيازات ولذلك أعطت ولاءها لفرنسا في حربها ضد الأمير عبد القادر. أنظر، ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، طباعة وتنفيذ أحمد متولى وأحمد جاسم، 2001م، ص 111 وما بعدها.

70- قدور محمصاجي، شباب الأمير عبد اقادر، مرجع سابق، ص 85.

71- المرابطون، هم نبلاء الدين والعلم والنسب والجهاد، لهم نفوذ مستقل عن الطرق الصوفية، أوقف الناس عليهم أحباسا كثيرة وكانت السلطة الروحية في الريف الجزائري موزعة على ثلاث قوى رئيسية هي: المرابطون، والأجواد، والأشراف. انظر أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4، ص 14.

72- قدور محمصاجي، شباب الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص 451 وما بعدها.

73- ابن طفيل، هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي. ولد في أوائل القرن الخامس الهجري في بلدة وادي آش التي تبعد عن غرناطة بحوالي ستين كيلو مترا. درس الطب في غرناطة وأصبح أمين أسرار حاكم غرناطة وكذلك كان عند الأمير أبي سعيد حاكم طنجة ثم أصبح طبيبا ومدير تشريفات متخصصا بأهل العلم والأدب والفلسفة في قصر أمير المؤمنين الموحدي بالمغرب أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وهو الذي استجلب ابن رشد وكلفه عن طريق أبي يعقوب بشرح مؤلفات أرسطو. وفق لوضع نظام فلكي يخالف النظام الذي وضعه بطليموس. توفي سنة 581ه في خلافة أبي يوسف يعقوب الملقب بالمنصور. له تآليف منها رسالة في النفس ورسالة حي بن يقظان الذي يولد في جزيرة منفردا وبالرياضة العقلية يعرف الله وبالرياضة الروحية يصل الى طريق الولاية ثم تعرف على عابد في جزيرة أخرى فعلمه شرائع السماء ثم خرج الى المدينة ليصلح حالها ففشل ثم عاد الى جزيرته ومات فيها وحيدا. انظر، عبد الحليم محمود، فلسفة ابن طفيل وقصة حي بن يقظان، دار غريب للطباعة والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص 13 وما بعدها.

74- الفارابي، المدينة الفاضلة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر، دت، ص 76.

75- قال تعالى: "أ فمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لايهدي القوم الظالمين". التوبة: 109.

76- مدني صالح، ابن الطفيل قضايا ومواقف، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1980م، ص 193.

قائمة المصادر والمراجع:

أ- المصادر:

1- الأمير عبد القادر(ت1883م)، 2004م – 1452ه، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، تحقيق عاصم إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

2- الأمير محمد (ت1331هـ-1913م)، 1903م، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، المطبعة التجارية، غرزوزي وجاويش، الإسكندرية.

2- مصطفى بن التهامي (مجهول ت الوفاة)، 2009م، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق وتقديم وتعليق يحي بو عزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع.

3- الفارابي (ت339هـ-950م)، دت، المدينة الفاضلة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر.

5- ابن تيمية (ت728هـ)، 2004م، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

6- الذهبي (ت748هـ-1347م)،1990م، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط7، مؤسسة الرّسالة، بيروت.

7- ابن كثير (ت774هـ)، 2004م، البداية والنهاية، دارالتقوى، القاهرة.

8- ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ-1449م)، دت، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

9- مكيافللي (1527م)، 2004م، الأمير، ترجمة أكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع، مصر الجديدة القاهرة.

ب-المراجع:

10- أحمد الراشد، 1984م، الرقائق، مؤسسة الرسالة، ط 8، بيروت.

11- محمد أحمد الراشد، 1975م، المنطلق، ط1، مؤسسة الرسالة، شارع سوريا، بيروت.

12-شارل هنري تشرشل (ت1869م)، 2009م، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، دار الرائد، دار المعرفة.

13- نصر حامد أبو زيد، 2014م، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط، المملكة المغربية.

14- محمد العربي الزبيري، 1982م، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، والمؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر.

15- إسماعيل العربي، 1982م، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر.

16- نزار أباظة، 1994م، الأمير عبد القادر الجزائري، العالم المجاهد، ط1، دار الفكر، دمشق.

17- كارل بروكلمان، 1968م، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط 5، دار العلم للملايين.

18- عبد القادر الجيلاني، 2004م، السفينة القادرية، تحقيق عبد الجليل عبد السلام، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

19- ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، 1993م، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفقي، ط 2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

20- أبو القاسم سعد الله، 1998م، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

21- يحي بوعزيز، 2009م، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

22- قدور محمصاجي،2007م، شباب الأمير عبد القادر، ترجمة مختار محمصاجي، ديوان المطبوعات الجزائرية، بن عكنون، الجزائر.

23- يحي بوعزيز، 1995م، أعلام الفكر والثقافة قي الجزائر المحروسة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

24- ابن خلكان، 1978م، وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباس، دار صادر بيروت.

25- عبد القادر تومي، 2009م، وجوه الفلسفة، طبع بمطبعة دار هومة، الجزائر.

26 - برونو إتيين، 1997م، عبد القادر الجزائري، ترجمة ميشيل خوري، ط1، دار عطية للنشر، بيروت، لبنان.

27- ناصر الدين سعيدوني، 2001م، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، طباعة وتنفيذ أحمد متولى وأحمد جاسم.

28- عبد الحليم محمود، 2000م، فلسفة ابن طفيل وقصة حي بن يقظان، دار غريب للطباعة والتوزيع، القاهرة-

29- ابن الطفيل قضايا ومواقف، 1980م، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية.